

المؤرخ العربي



مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق

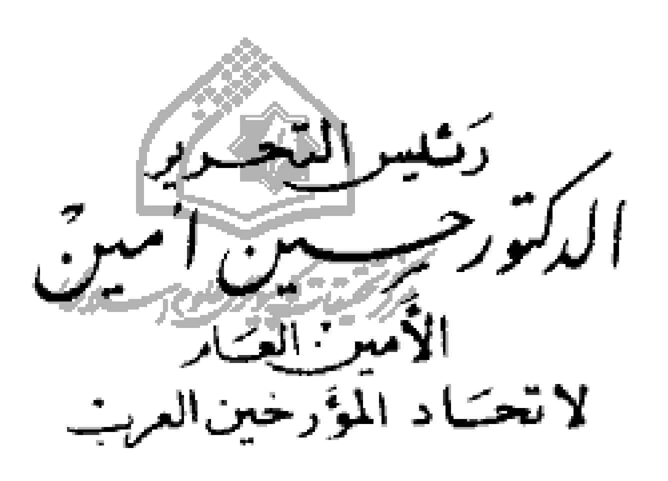
٢٢

العدد الثاني والعشرون

١٩٨٢

مجلة

المؤرخ العربي



رئيس التحرير
الدكتور حسين أمين
الأمين العام
لاتحاد المؤرخين العرب

العدد الثاني والعشرون
١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق

محتويات العدد ٢٢ ـ ١٩٨٢
من «المؤرخ العربي»

١ ـ دور عمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الاسلامي الأول

إعداد: د/الحبيب الجنحاني، كلية الآداب ـ تونس ٩

٢ ـ الأصالة في التراث العلمي العربي

إعداد: د/سينوت حليم دوس، جامعة السليمانية ـ العراق ٣١

٣ ـ العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق

إعداد: د/محمد ضيف الله البطاينة، جامعة اليرموك ـ الاردن ٣٧

٤ ـ تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون في إعادة كتابة التاريخ العربي

إعداد: د/عبدالجبار ناجي، جامعة البصرة ـ العراق ١١٣

٥ ـ الموسيقار الاسلامي زرياب

إعداد: سعاد عبدالعزيز أحمد، جامعة الخرطوم ـ السودان . ١٤٩

٦ ـ خدمات وكلاء التاج للحكومة العراقية ١٩٢٩ ـ ١٩٤١

إعداد: د/نوري عبدالحميد خليل، جامعة بغداد ـ العراق . ١٦٥

٧ ـ عمرو بن عبيد وعلاقته بأبي جعفر المنصور

إعداد: د/صالح الحمارنة، الجامعة الاردنية ـ الاردن ٢٠٥

٨ ـ نقد العهد القديم

إعداد: د/سامي سعيد الأحمد، جامعة بغداد ـ العراق . . . ٢١٥

1 — **Neo-Mahdism As A Factor for Integration in the Sudan and Nigeria 1900-1935.** 7

By: Dr. Hassan Ahmed Ibrahim

2 — **Women's Role in Islamic Medicine Through the Ages** 21

By: Dr. R.H. Verma



اللجنة الاستشارية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

يتضمن العدد ٢٢ من مجلة «المؤرخ العربي» نخبة طيبة من الدراسات والبحوث التاريخية القيمة، كتبها مؤرخون ومثقفون من تونس والعراق والاردن والسودان والهند. ويضم العدد عشرة مقالات: مقالان منها باللغة الانكليزية والبقية باللغة العربية.

والسؤال المهم هو: ما جدوى هذه المقالات وهذه البحوث؟ في رأينا أن البحوث التاريخية تظهر أن العرب والمسلمين عموماً أناس لهم حضارة عريقة يصعب «ابتلاعهم» وكبت حضارتهم وإلغاء كياناتهم مهما تكالبت عليهم قوى الشر الممثّلة بالصهيونية العالمية وأنصارها المعلنين والمقنعين.

فالعرب إذاً أمة عريقة ساهمت، وسوف تساهم، في البناء الحضاري للبشرية وإن المحاولات لطمس هذه الحقائق فاشلة لا محالة.

فالمؤامرة على البحرين والخليج العربي تمثل إحدى المحاولات اللئيمة لاغتيال الوجود العربي في هذه المنطقة ومحاولات العدو الصهيوني ضم الجولان العربية والاعتداءات على جنوب لبنان وضرب المفاعل النووي العراقي ما هي إلا ظواهر مبعثها الحقد على هذه الأمة ونكران لوجودها وأحقيتها في احتلال موقعها الطبيعي بين أمم العالم المتقدم.

إن هذه المحاولات جميعاً مصيرها الفشل المحتم لأنها ستصطدم بأصالة الإنسان العربي وبحضارته العريقة وبحقيقة وجوده الشامخ على هذه الأرض وفي هذا العالم.

سدد الله خطى المجاهدين من أبناء هذه الأمة وأعانهم في جهدهم لتوحيدها ومؤازرتها في الوقوف ضد الطامعين فيها من الشرق والغرب، إنه سميع الدعاء.

الدكتور حسين أمين
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب



دور عُمان في نشاط التجارة العالمية
خلال العصر الإسلامي الأول

إعداد
الدكتور/ الحبيب الجنحاني
(كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تونس)

إن الأبحاث الجديدة، ونتائج بعض الحفريات قد أثبتت بوضوح أن دور منطقة الخليج العربي عامة وعُمان خاصة في الملاحة والتجارة البحرية دور عريق يرجع إلى ما قبل الإسلام بعصور طويلة.

إنّ هذا الدور مرتبط وثيق الارتباط بالتقاليد الراسخة للعرب في الملاحة سواء كان ذلك انطلاقاً من الضفة الغربية للخليج، أو من مرافىء غرب الجزيرة العربية على شواطىء البحر الأحمر، أو من جنوبها خلافاً لما ذهب إليه البعض من «أن المسلمين كانوا بصورة عامة يخافون البحر»[1].

إن شهرة الملاحة الحميريّة تعود إلى عصور قديمة، وكان للعمانيين بالخصوص من سكان منطقة الخليج دورٌ نشيط في التجارة البحرية، وحتى في فترة نفوذ الامبراطورية الساسانية على منطقة الخليج فإنها لم تتمكن من السيطرة

---

(١) راجع فصل «الصين» من دائرة المعارف الإسلامية... وراجع عن دور العرب في تاريخ الملاحة الدولية كتاب: جورج فضلو حوراني ترجمة السيد يعقوب بكر، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة، وأوائل العصور الوسطى، القاهرة، د. ت.

إلا على الشريط الساحلي، أما داخل البلاد فقد كان تحت الحكم العربي، ويشير إلى ذلك ألازكوي قائلاً:

«فكانت الفرس في السواحل، وشطوط البحر والأزد ملوكاً في البادية والجبال وأطراف عُمان وكلُّ الأمور منوطة بهم»[1].

وقد عجز الساسانيون في فترات ضعف الإمبراطورية عن حماية سواحلهم، حيث إنها كانت عرضة لغارات عرب الخليج.

أما أهم تحول في تاريخ التجارة البحرية العمانية فقد حدث بعد الفتح الإسلامي[2]، فقد أكسبت فتح بلاد فارس، والقضاء على الدولة الساسانية، ثم فتح بلاد السند[3] من جهة، وظهور أمصار جديدة في منطقة الخليج مثل البصرة[4] من جهة ثانية، منطقة عُمان أهمية تجارية جديدة، وأصبحت مساهمة مدنها المرفئية في التجارة ذات بُعْد عالمي، وفي طليعة هذه المدن نجد: صحار عاصمة عُمان القديمة.

وقد أصبحت عُمان بفضل هذه المكانة الجديدة في الدورة التجارية العالمية مضرب الأمثال في سعة الرزق، ورواج التجارة، فقد قيل: «من تعذر عليه الرزق فعليه بعُمان» وهناك من ينسب هذا القول إلى الرسول عليه الصلاة والسلام[5] وإذا لم تثبت نسبته فإنه يدل على صدق توفر وسائل الكسب بعُمان،

---

(١) أنظر: فاروق عمر، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العُماني، بغداد ١٩٧٩، ص ٢٨.

(٢) راجع عن فتح عُمان: البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٣٢، ص ٨٧ وما يليها؛ نور الدين السالمي، تحفة الأعيان بسير أهل عُمان، نشر ابراهيم طفيش الجزائري القاهرة، ١٣٥٠ هـ، ص ٦٧ وما بعدها.

(٣) أنظر عن فتوح السند: البلاذري، ص ٤٢٠ وما بعدها.

(٤) راجع عن تمصير البصرة: ن. م.، ص ٣٤١ وما بعدها، أنظر أيضاً صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بيروت ١٩٦٩.

(٥) أنظر: ياقوت الحموي، ومعجم البلدان، بيروت ١٩٥٧، ج ٣، ص ٧١٨.

وقد قال الأصمعي: «الدنيا ثلاث عُمان، والأبلة، وسيـراف»[1] وجاء في «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للجغرافي المقدسي «من أراد التجارة فعليه بعدن، أو عُمان، أو مصر» (ص ٣٥).

وينبغي أن لا نغفل هنا عن الإشارة إلى أن سهولة الرزق بعمان في العصر الإسلامي لا تعود إلى النشاط التجاري فحسب، وذلك بالرغم من أهميته في النشاط الاقتصادي العُماني عصرئذٍ، بل تعود إلى التطور الزراعي أيضاً، وذلك لسببين رئيسيين:

أولاً: إن السهول الزراعية الخصبة التي كانت قبل الإسلام بيد المرازبة والأساورة قد عادت للعرب المسلمين.

ثانياً: إن تطور التجارة، ولا سيما التجارة الكبرى، جعل من بعض المنتوجات الزراعية بضائع ثمينة في قائمة التبادل التجاري مثل التمور، والتين المجفف، والصموغ واللبان وغيرها.

ويتحـدث الجغرافيـون العرب عن الإنتـاج الـزراعي لعُـمـان فيقـول الحميري: «وبلاد عُمان مستقلة في ذاتها، عامرة بأهلها، وهي كثيرة النخل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب»[2]، وقد بلغ خراج أهل عُمان على المقاطعة ثمانين ألف دينار[3]، وجمع في العصر العباسي من الجباية مبلغ ثلاثمائة ألف دينار.

ويربط بعض الجغرافيين العرب بين الحياة الزراعية في عُمان والنشاط التجاري، فبعد الحديث عن المياه والإنتاج الفلاحي يقول الحميري صاحب (الروض المعطار):

---

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، ليدن، ١٣٠٢ هـ، ص ٢٠٥.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، ١٩٧٥، ص ٤١٣.

(٣) ن. م.

«وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين، وتحمل من سيراف الأمتعة إليها، والحمولة في قوارب ثم توقر السفينة العظيمة حتى تلجلج في البحر العظيم فتسير بالريح الطيبة مقدار أربعين يوماً إلى خمسين يوماً حتى تنتهي إلى مدينة تسمى الشحر» [1] .

ومن المعروف أن التحول الخطير في الحياة التجارية بعد الفتح الإسلامي قد تم تدريجياً ليبلغ أوجه ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، فقد ساهم انتقال مركز الخلافة من بلاد الشام إلى العراق في تحول التبادل التجاري من المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي، وإلى ما يرتبط به من مسالك برية وبحرية متفرعة عنه.

* * *

وقبل الحديث عن تفاصيل هذا النشاط التجاري، وعن مسالكه البحرية، وعن مراكزه في عُمان، وعن البضائع المتبادلة، وعن ملامح التأثير الحضاري لهذا التبادل أودُّ إبداء الملاحظات الأساسية التالية:

أولاً: إن الموقع الجغرافي لموانىء عُمان جعلها مراكز مهمة لتجارة العبور توريداً وتصديراً بين منطقة الشرق الأقصى (الهند، والصين، وجزر الهند الشرقية) من جهة وداخل مناطق شبه الجزيرة العربية من جهة أخرى فضلاً عن علاقاتها مع إفريقيا الشرقية، ولكي تتضح أهمية هذا الموقع فلا بد من وضعه في نطاق واجهات التبادل التجاري في العصر الإسلامي، ونعني بذلك الواجهة الشمالية الشرقية، وهي واجهة الطرقات القارية للواحات وتقود مما بين النهرين إلى بلاد فارس وآسيا الوسطى، ثم إلى بلاد الترك، وإلى الصين الشمالية، أو إلى الهند الشمالية الغربية، أما واجهة الجنوب الشرقي التي تحتل فيها عُمان

---

(١) ن. م.

المكانة الأولى، فهي واجهة المسالك البحرية للمحيط الهندي التي تقود مما بين النهرين والخليج العربي من جهة، ومن البلاد المصرية والبحر الأحمر من جهة أخرى إلى السواحل الغربية لشبه القارة الهندية، ثم إلى سيلان وأندونيسيا والهند الصينية، وجنوب الصين، وهي مسالك رحلة السندباد العربي من الخليج إلى ميناء كانتون، أو إلى بلاد الزنج، وجزيرة مدغشقر.

أما الواجهة الجنوبية الغربية فهي واجهة مسالك القوافل في الصحراء انطلاقاً من بلاد المغرب الإسلامي حتى بلاد السودان، وأخيراً الواجهة الشمالية الغربية، أي واجهة المسالك البحرية والنهرية والقارية التي تقود مما بين النهرين وأرمينية إلى بلاد الخزر، والأنهار الروسية، ومن هنالك إلى بلاد بحر البلطيق وأوروبا الوسطى، أو من الموانىء الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى مرافىء جنوب إيطاليا واليونان، وجزر البحر الأبيض المتوسط، أو من الأندلس إلى الممالك الإسبانية في الشمال، ومنها عبر ممرات البرانس إلى بلاد الإفرنج (الغرب الأوروبي) أو في النهاية من الأندلس بطريق المحيط إلى الجزر البريطانية [١].

ونلمح هنا إلى تضاؤل أهمية البحرين في العهد الإسلامي [٢] في ميدان التجارة البحرية لفائدة عُمان، وقد أهلها موقعها الجغرافي لتصبح المركز الرئيسي للساحل الغربي من الخليج العربي.

ثانياً: لا بد ـ إذن ـ من النظر إلى أهمية عُمان في التجارة العالمية في القرون الإسلامية الأولى ضمن الوحدة الاقتصادية التي أصبح يمثلها العالم

---

(١) راجع في هذا الصدد: موريس لومبار، الإسلام في فجر عظمته، ترجمة حسين العودات، دمشق، ١٩٧٩، ص ٢٥٢.

(٢) راجع عن الحياة الاقتصادية في البحرين، عبد الرحمن عبد الكريم النجم، البحرين في صدر الإسلام، وأثرها في حركة الخوارج، بغداد ١٩٧٣، ص ٨١ وما بعدها.

الإسلامي ابتداء من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري، فشبكة المسالك التجارية لهذه الوحدة الجغرافية والاقتصادية تمتد ـ كما رأينا ـ من الجنوب الغربي من بلاد السودان إلى بلاد الإفرنج، أي أوروبا الغربية اليوم، ومن الجنوب الشرقي من سواحل إفريقيا الشرقية إلى الصين وبلاد الترك، والأورال ومنطقة بحر قزوين، وتمتد من المغرب إلى المشرق من شواطىء المحيط الأطلسي إلى بغداد وكابول ومنها إلى منطقة المحيط الهندي.

ثالثاً: إن التطور العمراني الكبير الذي نلاحظه خلال فترة ازدهار الحضارة الإسلامية يعتمد أساساً على الازدهار الاقتصادي، وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا إن هذا الازدهار الاقتصادي يكاد ينحصر عصرئذٍ في النشاط التجاري، وهو نشاط يكمن وراء تطور المدن، وانتشار شبكة المسالك التجارية والبحرية، وقد كان لهذا أثر بالغ في ازدهار المدن الساحلية العمانية، وتطور المسالك البرية التي تربط بينها، وبين مناطق داخل الجزيرة العربية، كما كان له تأثير في تطور مستوى معيشة سكان إقليم عُمان، يقول عبد الرحمن بن خلدون:

«فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا، وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأصله كله العمران وكثرته» [٢]، وأشار قبل هذه الفقرة بقليل إلى العلاقة بين التطور العمراني، وما يرافقه من تأثير مباشر في حياة السكان والازدهار الاقتصادي حيث يقول: «ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر» [٣].

(١) راجع في هذا الصدد كتابنا: المغرب الإسلامي: الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، تونس، ١٩٧٨، ص ٢٢.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، القاهرة ١٩٦٧، ج ٣، ص ١٠٠٩.

(٣) ن. م.، ج ٣، ص ٩٩٦.

رابعاً: العلاقة العضوية بين تطور التجارة ونشر الإسلام في اتجاهين: اتجاه شواطىء المحيط الهندي وبحر الصين وقد استقرت جاليات إسلامية في مدن ساحلية كثيرة، وبنيت المساجد وأصبح للمسلمين قضاتهم، وسنرى ـ بعد قليل ـ أهمية انتشار الإسلام في هذه المناطق عن طريق التجارة.

واتجاه سواحل إفريقيا الشرقية.

خامساً: رافقت هذه العلاقات التجارية النشطة بين عُمان من جهة، والشرق الأقصى وإفريقيا الشرقية (بلاد الزنج) من جهة أخرى ظاهرة حضارية مميزة تمثلت في عملية التأثّر والتأثير العميقين في شتىّ مجالات النشاط البشري من زراعة وصناعة، وملاحة، وثقافة، ولغة وعادات.

سادساً: تتصل الملاحظة الأخيرة في هذا التمهيد ذي الطابع التنظيري بدور الوحدة النقدية الإسلامية في النشاط التجاري لمنطقة الخليج بصفة عامة، وعُمان بصفة خاصة.

إنه من المعروف أن عملتينْ أساسيتين كانتا متداولتين في العالم القديم إلى القرن الثامن الميلادي: الدرهم الساساني، والدينار البيزنطي، ولقد استمر التعامل بهما في العصر الإسلامي الأول، ولكن هنالك تحولاً جذرياً حدث ابتداء من نهاية القرن الأول الهجري/ بداية الثامن الميلادي حيث سخرت الذخائر الذهبية التي كانت مخزونة لفائدة الدورة الاقتصادية العالمية في مناطق النفوذ الفارسي والبيزنطي، وقد أصبحت في ظل الحكم الإسلامي تمثّل وحدة جغرافية واقتصادية، ثم طرأ حدث جديد ابتداء من نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي لا يقل شأناً عن ذلك التحول:

وهو اكتشاف العالم الإسلامي لمصدر جديد وثري لتوريد هذا المعدن

الثمين: بلاد السودان [1].

وسيبقى ذهب السودان طوال ستة قرون يغذّي مصانع ضرب العملة الذهبية الإسلامية، ويدعم حركة التبادل التجاري بين المغرب والأندلس والبحر الأبيض المتوسط من جهة، والمشرق الإسلامي من جهة أخرى.

إن ذلك التحول وهذا الاكتشاف الجديد جعل من المسلمين خلال حقب طويلة سادة الذهب في العالم على حد تعبير م. لومبار، ومكنا العالم الإسلامي من بلوغ درجة تفوق اقتصادي تجاه الشرق والغرب معاً بفضل امتلاكه لثروات ذهبية ضخمة، ولما تتمتع به العملة الإسلامية من اعتراف عالمي[2].

إن دور عُمان كان فعّالاً في التقاء كميات الذهب الموردة عن طريق المسالك البحرية من الشرق الأقصى، وإفريقيا الشرقية (بلاد الزنج) إلى العالم الإسلامي بالثروة الذهبية المستجلبة بواسطة بلاد المغرب عن طريق المسالك الصحراوية الرابطة بينه وبين إفريقيا الغربية (بلاد السودان).

إن امتلاك هذه الثروات الذهبية داخل منطقة جغرافية شاسعة جعل الفتوحات الإسلامية، وبالتالي خضوع أجزاء تلك المنطقة للحكم الإسلامي

---

(١) إن اكتشاف المسلمين في المغرب لهذا المصدر الجديد للذهب: بلاد السودان لا يعني أبداً أن هذا المصدر لم يكن معروفاً قبل الفتح الإسلامي، إننا نوافق ف. برودال فيما يرجحه من أن التجارة الصحراوية أقدم بكثير من القرن الثاني، أنظر:

F. Braudel, la Méditerranée et le Monde méditerranéen / l'époque de Philippe II, Paris, 1949, pp. 364 — 365.

ولكن هذه التجارة الصحراوية القديمة قد توقفت أيام العهد الوندالي، وأيام البيزنطيين، وازدهرت في العهد الإسلامي، وارتبطت بوحدة عمرانية واقتصادية شاسعة، وهذا ما أكسب توريد الذهب السوداني في العصور الإسلامية أهمية خاصة. أنظر أيضاً:

Yves Lacoste, Ibn Khaldoun, Paris, 1969, p. 25.

(٢) أنظر كتابنا المغرب الإسلامي...، سبق ذكره، ص ٣١ وما بعدها.

تحتل أولاً مكانة بارزة في التاريخ الاقتصادي العالمي بين غزوات الإسكندر التي فتحت للعالم اليوناني ذخائر مملكة فارس، ومنجم آسيا والغزوات الإسبانية التي مكنت أوروبا من ذهب وفضة القارة الأميركية، وتبرز ثانياً ظاهرة جديدة في تاريخ الدورة النقدية حيث لم يسجل قبل الدينار الإسلامي عملة شملت دورتها الشرقينْ الأقصى والأوسط، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا في الوقت نفسه[1].

العلاقات التجارية بين عُمان والشرق الأقصى:

إن موقع عُمان في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية مطلاً على الخليج العربي من جهة والبحر العربي من جهة ثانية جعل له أهمية استراتيجية وتجارية كبرى في مختلف العصور، وإذ حاولنا التعرف إلى تاريخ علاقات عُمان مع منطقة الشرق الأقصى فإننا نجد جذورها تمتد إلى العصور القديمة، فإنه بالرغم من الفتح المقدوني لمنطقة البحر الأحمر ومنطقة الخليج، ووقوعها تحت سيطرة البطالسة، بعد اليونان لمدة طويلة إلاّ أن عرب الجنوب من حضارمة، وحميريين، وعُمانيين كانوا هم المسيطرين على التجارة البحرية مع الهند طول الوقت[2] ، وكانت لهم جاليات في السواحل الهندية، وفي جزر الملايو، وأندونيسيا وهنالك من يذهب إلى أن «أوفيرا» هي ظفار عند ميناء مربط في أرض اللبان، وكانت منذ أقدم العصور مركزاً لتبادل السلع مع الشرق الفسيح[3] .

---

(1) ن. م.، ص ٣٣.

(2) أنظر أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٨.

(3) راجع في هذا الشأن: جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، سبق ذكره، ص ١٣٩ وما بعدها.

إن هذه العلاقات القديمة التي أصبحت تدعمها نتائج الحفريات الجديدة في عُمان، وفي منطقة الخليج عامة تفنّد القول بأن خبرة العرب الملاحية ضعيفة، فقد كانت لعرب الجنوب خبرة بالملاحة تعود إلى حوالي ألف سنة قبل الإسلام، ويرجّح بعض الدارسين بأن السفن العربية قد وصلت إلى الصين في حوالي النصف الأول من القرن الخامس الميلادي [1] ، وقد كان الطريق البحري الممتد من الخليج إلى كانتون أطول طريق استعمله الإنسان على نحو منتظم قبل التوسع الأوروبي في القرن السادس عشر الميلادي، ونستطيع أن نقول ــ دون مبالغة ــ إن زمام البحر في منطقة الخليج ومنطقة البحر العربي، والمحيط الهندي كان بيد العرب إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ولكن السيطرة العربية على البحر مرت بمراحل متفاوتة، فقد ذكرنا أن هذه السيطرة بلغت أوجها استراتيجياً وتجارياً في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وخاصة بين القرنين الثاني والخامس للهجرة/ الثامن والحادي عشر للميلاد، وقد أصبحت الموانىء العُمانية خلال هذه الفترة تمثل أكبر المراكز التجارية مع بلدان الشرق الأقصى، وقد ركّز الجغرافيون العرب على دور عُمان التجاري في اتجاه الشرق الأقصى، فقد ذكر السيرافي أن «كله مجتمع الأمتعة من العود، والكافور، والصندل، والعاج، والرصاص، والأبنوس والنقم، والأفاوية. كلها، وغير ذلك مما يتسع، ويطول شرحه، والجهاز من عُمان في هذا الوقت ومنها إلى عُمان واقع» [2] وقد كان لفتح إقليم السند دور فعال في تدفق أنواع جديدة من البضاعة إلى مرافىء الخليج، ومنها إلى بقية أجزاء العالم الإسلامي، ويصف المقدسي هذه السلع قائلاً: «هذا إقليم الذهب، والتجارات، والعقاقير، والآلات، والفانيذ والخيرات، والأرزاز، والموز والأعجوبات به رخص وسعة. . .» [3] .

---

(١) أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، سبق ذكره ص ٢٢.

(٢) رحلة السيرافي، بغداد، ١٩٦١، ص ٧٨.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص ٤٧٤ وما بعدها.

وينقل لنا كل من ابن الفقيه والمسعودي عن «التاجر سليمان» وصفاً للمسالك الرابطة بين سواحل الخليج وسواحل السند والهند وأندونيسيا حتى الصين، يقول ابن الفقيه:

«وذكر سليمان أن السفن الصينية تحمل من البصرة وعُمان، وتعبأ بسيراف، وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر، وقلة الماء في مواضع منه، فإذا عبىء المتاع استعذبوا الماء في موضع منها يقال له مسقط، وهو آخر عُمان، وبين سيراف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ، وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف (ساحل) وفي غربي هذا البحر جبل عُمان» (١).

وتحدثنا المصادر عن رحلة تاجر أباضي عُماني إلى الصين حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي وكان يدعى أبا عبيدة، وقد اشترى في الصين بعض خشب الند (٢).

وفي نهاية هذه الفقرة عن العلاقات التجارية بين عُمان والشرق الأقصى أود إبداء الملاحظتين التاليتين:

أولاً: إن ازدهار هذه العلاقات التجارية مرتبط بالتطور الديمغرافي والعمراني السريع للأمصار الإسلامية، وما استلزمه من حاجات استهلاكية جديدة، وذلك مثل البصرة والكوفة وواسط، وسامرا، ولا سيما حاجات العاصمة العباسية الكبرى: بغداد. ومن الطريف الإشارة هنا إلى أن مؤسسها الخليفة المنصور كان واعياً بميزاتها الاقتصادية، فقد كان يقول:

---

(١) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥، ص ١١، البحر المقصود به البحر العربي.

(٢) جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، سبق ذكره، ص ١٩٥.

«هـذه دجلة ليس بيننا وبـين الصين شيء، يـأتينا فيهـا كل مـا في البحر» (١) .

ثانياً: إن العلاقات التجارية بين عُمان والصين تأثرت بطبيعة الحال بالأحداث السياسية التي عاشتها الإمبراطورية الصينية في عهد حكم أسرة «تانج»، وتدهور سلطتها إثر ثورة (هوانج تشاو) سنة ٨٧٨ للميلاد، ثم سقوط حكم هذه الأسرة سنة ٩٦٠ ميلادياً.

كما تأثرت أيضاً بالأحداث الخطيرة التي عاشتها الخلافة العباسية، وما أدت إليه من مظاهر التفكك والضعف ابتداء من منتصف القرن التاسع للميلاد، فقد انطلقت في العقد السابع من هذا القرن ثورة الزنج في جنوب العراق، وبعض مناطق الخليج، فخربوا الأبلة والبصرة، وقطعوا بغداد عن سواحل الخليج، ثم اندلعت في نهاية القرن نفسه حركة القرامطة.

العلاقات التجارية بين عُمان وإفريقيا الشرقية:

أما الهدف الثاني لتجارة السواحل العُمانية فهو شرق إفريقيا، وكانت هذه العلاقات قديمة، ولكنها اكتسبت بُعْداً جديداً في العصر الإسلامي لأسباب متعددة تمت الإشارة إلى أهمها.

وتمتد الرحلة إلى شواطىء إفريقيا الشرقية حوالي شهرين، وقد اهتم الجغرافيون العرب بوصف هذا المسلك البحريّ حيث إن سكان جنوب الجزيرة وشرقيها يكادون يحتكرون التجارة مع هذه المنطقة الشاسعة والغنية، يقول المسعودي:

---

(١) راجع أيضاً عن الملاحة العربية: ابن حوقل، صـورة الأرض، بيروت، د ت، ص ٤٨ وما بعدها.

«وأهل المراكب من العُمانيين يقطعون هذا الخليج (الخليج البربري) إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعُمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري ـ وهم يعرفونه ببحر البربري ـ وبلاد جفوني أكثر مسافة مما ذكرنا. . . وهؤلاء القوم الذين يركبون البحر من أهل عُمان عرب من الأزد ويقطع هذا البحر السيرافيون، وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار من بلاد عُمان في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عُمان. . .» (١) .

وقد استقرت جاليات إسلامية في الساحل الشرقي لإفريقيا، وقامت عن طريق التجارة بنشر الإسلام في مناطق شاسعة من القارة الإفريقية، فقد وجدت كتابات كوفية ترجع إلى القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، ويرجع تاريخ بناء المسجد في زنجبار إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وبلغ الاستيطان العربي على الساحل الإفريقي الشرقي حتى سفالة وموزمبيق.

وكذلك جزيرة مدغشقر منذ القرن الرابع الهجري، وحكم على هذا الساحل سلاطين من الشحر واليمن وحضرموت، وظلت سلطنة زنجبار تحت الحكم العربي إلى بداية الاحتلال الأوروبي.

وتثبت المصادر العربية أن الأزديين قد قاموا بدور خاص في دعم العلاقات التجارية بين منطقة الخليج وشرق إفريقيا، فقد كانوا يسافرون بمراكبهم من سيراف وعمان إلى زيلع وعيذاب وسواكن، وبربر، وزنجبار، ويتابعون سيرهم جنوباً حتى جزيرة القمر (مدغشقر)، ويعودون ومعهم العنبر والذهب من بربر، كما كانوا يعودون بكميات كبرى من العاج ومن الرقيق فقد أكد الأصطخري أن حريقاً حدث بعُمان سنة ٣٢٤هـ «فاحترقت لرجل يعرف بابن مروان من العبيد

(١) مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٧ وما يليها.

السود سوى البيض إثني عشر ألف نسمة»[1] . لا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه، ولكنه يدل على أهمية تجارة الرقيق بين منطقة الخليج وسواحل إفريقيا الشرقية، فإنه من المعروف أن العبيد أصبحوا يمثلون القوة المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي، فهم العاملون في المناطق الزراعية الكبرى، وفي المعادن، وفي حراسة القوافل التجارية، وفي البناء والصناعات التي نشأت في مراكز العمران، وفي الأعمال المنزلية، وفي الجند أيضاً، ولا سيما في فئة الحرس الخاص[2] .

البضائع المتبادلة:

إن الحديث عن البضائع المتبادلة عنصر أساسي في تاريخ العلاقات التجارية بين منطقة وأخرى، وأود البداية بالحديث عن نقطة طالما أهملت في الكتابة عن تاريخ التجارة، وأعني هنا المنتوجات الزراعية لعُمان التي أوليها عناية خاصة للأسباب التالية:

أولاً: إن قسماً من هذه المنتوجات يتحول إلى بضاعة تصدير ثمينة في دورة تجارية مزدهرة، وإن كان الإنتاج الزراعي ضعيفاً لا يكاد يفي بحاجة الاستهلاك المحلي.

ثانياً: إن العلاقات التجارية تجلب معها الخبرة الفلاحية، وتجارب نقل المزروعات والأشجار.

ثالثاً: إن المدن التجارية الثرية مثل مدينة صحار تحتاج إلى حزام زراعي يوفر لسكانها أمنهم الغذائي مهما نشطت حركتها التجارية، وتجمعت فيها الثروات.

(١) عبد الرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الاولى، بغداد، ١٩٧٧، ص٧.

(٢) راجع كتابنا: المغرب الإسلامي. . .، سبق ذكره، ص ٢٩ وما يليها.

إن المؤرخين الاقتصاديين يقدرون أن تجمعاً سكانياً يبلغ أفراده ٣٠٠٠ ساكن يحتاج ـ ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي ـ لمده بالمواد الغذائية إلى عشر مناطق ريفية خصبة، أي مساحة ٨,٥ كم مربع «نظراً لضعف إنتاجية الفلاحة»، إن الضواحي الريفية يجب أن تمد المدينة ـ إذن ـ بالحد الأدنى من المواد الغذائية حتى لا تبقى مهدّدة في معيشة سكانها كل لحظة، إن التجارة الكبرى لا يمكن الاعتماد عليها في تموين المدن إلا بصفة استثنائية، جزئية، وهذا بالنسبة للمدن المحظوظة فقط مثل البندقية، وروما، واسطنبول، ومكة [1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن خلدون قد تنبه إلى هذه النقطة في حياة المدن قبل النظريات الحديثة فكتب فصلاً في المقدمة سماه: «فصل فيما يجب مراعاته في المدن وما يحدث إذا أغفل عن تلك المراعاة» فأشار إلى ضرورة ضمان مناطق زراعية حول المدينة قائلاً: «ومما يراعى أيضاً المزارع، فإن الزروع هي الأقوات فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه، وأقرب إلى تحصيله» [2].

ونعود للتعرف إلى المنتوجات الزراعية، العُمانية من خلال كتب الجغرافيين العرب بنقل الإمام نور الدين السالمي عن الأندلسي قائلاً:

«وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير، والأرز وقصب السكر قال: وفي الأمثال من تعذر عنه الرزق فعليه بعُمان فقال: وفي أحوازها مغاص اللؤلؤ. قال: وعُمان من أحواز اليمن قلت ولعله أراد بمدينة

---

(١) أنظر:

F. Braudel, Civilisation Maténiele et Capitalisme, Paris, 1967, p. 372.

راجع كتابنا المغرب الإسلامي. . . ، سبق ذكره، ص ٣٥.

(٢) المقدمة، سبق ذكره، ج ٣، ص ٩٧٥.

عُمان قلهات، وهي الآن عارية من هذه الصفات لانتقال العمارة عنها إلى مسكد، وكون عُمان ثلاثين فرسخاً فيه نظر، بل هي أكثر من ذلك بأضعاف مضاعفة، والأرز لا يوجد فيها، وإنما يجلب إليها من الهند اللهم إلا أن يكون قد زرع في أيام الأئمة ثم انقطع بانقطاع ذلك الخير فإنه سيأتي أن الإماميين سلطان بن سيف وولده قيد الأرض قد جلبا لعُمان أشجاراً كثيرة من البحر، وغرسا فيها تلك الأشجار حتى الورس والزعفران، ومن عجائب الدنيا مملوءة بالفواكه مثل الرمان والعنب والجوز والخوخ والمشمش والبوت والنمث وغيرها من أشجار الجبل، وفيه من الرياحين كالورد والزعفران والآس والنرجس وغيرها، وسئل بعض أهله عن وصفه فقال: هو جبل عظيم الارتفاع، صعب الامتناع في وسط عُمان، أهله في رفاهة وأمان لا يخافون جور الشيطان ولا سطوة سلطان، ذو نهور وقصور، وحياض ورياض، وبساتين، بها كروم وتين وتوت وجوز ومشمش ورمان وفواكه ألوان، محصنة حدائقها بالورد والياسمين، وحشيشها الزعفران الثمين والفوذنج، والشذاب، والنرجس المشبه بعيون الكعاب، محفوفة بالآس كأنها الجنة في القياس، اغتصت بالكرم والتفاح والشجر المعطر النفاح قال: وإن حللت في أقفارها اكتفيت عن جني أثمارها بكمثل النمت والبوت شفاء، وقوت تسفح من هذا الجبل تسعة أودية، وكل واد به له طريق مؤدية، وعلى أبوابها قرى لبني ريام أحاطوا كالأكمام بالثمر والهالة بالقمر حامين لأبوابه عن طلابه. انتهى وصف صاحب الجبل له والله أعلم» (١) .

وبالإضافة إلى المنتوجات الزراعية الواردة في نص مؤلف «تحفة الأعيان» فإننا نجد منتوجات أخرى مثل شجر الكندر الذي ينبت بمنطقة الشحر، يقول الحميري: «والشحر مدينة كبيرة، وليس بها زرع ولا ضرع، ويكون بها العنبر

(١) تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، سبق ذكره، ص ٣٣٩.

وشجرها الكندر، ومنها يحمل الى الآفاق، والملاك بها كثير» ، وتذكر المصادر العربية المنتوجات التالية: المقل، وهو يشبه الكندر، ويستعمل في الأدوية، وينبت بجبال عُمان [1] ، والضجاج وينبت في جبل قهوان، وينتج صمغاً أبيض، والتامول، والزنجبيل والتمر الهندي، ومن المنتوجات الزراعية ذات الأهمية الكبرى في قائمة التبادل التجاري بين عُمان، وبقية أنحاء العالم اللبان المشار إليه، ينقل ابن البيطار عن أبي حنيفة الدينوري أنه قال: «أخبرني أعرابي من أهل عُمان أنه قال: اللبان لا يكون إلا بالشحر، شحر عُمان، وهي لشجرة مشوكة لا تنمو أكثر من ذراعين، ولا تنبت إلا بالجبال ليس في السهل منها شيء، ولها ورق مثل الآس، وثمر مثل ثمره له مرارة في الفم، وعلكه الذي يمضغ ويسمّى الكندر» [2] .

ومن أبرز المنتوجات البحرية العُمانية المصدرة اللؤلؤ فقد عرف إقليم عُمان منذ القديم مغاصات اللؤلؤ، ولا سيما عند مسقط، وصور، ومن لآلىء عُمان المشهورة الدرة اليتيمة التي استخرجت من عُمان في بداية العصر العباسي، واشتراها هارون الرشيد بسبعين ألف درهم، كما اشترى لؤلؤة أخرى استخرجت معها، وكانت أصغر بثلاثين ألف درهم [3] .

ولا نغفل بصدد الحديث عن صادرات عُمان عن الإشارة إلى الإنتاج الحرفي، وما عرفه من تطور وازدهار نتيجة نشاط التبادل التجاري، وقد كان

---

(١) يقول الدمشقي: «والمقل الأزرق صمغ شجر كبار فيما بين الشحر وعُمان، وكذلك اللبان هناك، وفي أماكن من اليمن والله أعلم»، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزيغ، ١٩٢٣، ص ٨٢.

(٢) ابن البيطار، عبد الله بن أحمد المالقي الأندلسي، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، ١٢٩١ هـ، ج ٤، ص ٨٣.

(٣) راجع قصة لؤلؤتين عُمانيتين في روض المعطار للحميري، مادة عُمان.

للعُمانيين دور كبير في ازدهار الحرف في العاصمة التجارية الكبرى لمنطقة الخليج: البصرة [1].

أما أهم واردات المدن العُمانية، سواء كان ذلك للاستهلاك المحلي، أو لإعادة التصدير في نطاق الدور النشط الذي أدته المدن الساحلية العُمانية في ازدهار تجارة العبور خلال الفترة الإسلامية فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها استيراد الحديد من الهند لصنع الأسلحة، واستيراد السيوف الهندية جاهزة من الهند، أو من سيلان، والصندل من الهند والصين، وتوريد أنواع من المنسوجات، فبالرغم من أن العالم الإسلامي كان ينتج الكثير من النسيج، واشتهرت صحار بأنسجتها المتنوعة فإنه كان يستورد المنسوجات الحريرية والديباج من الصين، ويستورد من الهند الثياب القطنية المُخملة، وتحتل الأخشاب في قائمة الواردات مكانة بارزة نظراً لفقر العالم الإسلامي بصفة عامة في مادة الخشب فقد يستورد الساج من الهند لاستعماله في بناء البيوت، أو في صناعة السفن، ويجلب الخيزران من السند والهند والصين ليستعمل في صناعة الرماح، وخشب جوز الهند يورد من جنوب الهند وأندونيسيا وسيلان وجزر ملدايف لاستعماله في صناعة السفن، فقد كان عرب الخليج يسافرون إلى موطن جوز الهند لصناعة السفن من هذه الشجرة.تبنى منها هياكلها، وحواريها، وخيوطها المغروزة وحبالها وكانت السفن بعد بنائها تشحن بخشب جوز الهند وثماره، ويؤتى بها إلى عُمان، ومنطقة الخليج عامة [2]. أما الأبنوس فتشير المصادر العربية إلى أنه كان يستورد من بلاد الزنج، ونجد في قائمة التبادل التجاري العماني العاج من بلاد الزنج والهند ومن جزيرة أندمان، وشتى أنواع البهارات والأصناف الرفيعة من العطور مثل المسك المستورد من الهند، والتبت والصين، والعنبر المجلوب

(١) أنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة. . .، سبق ذكره، ص ٣٠١.

(٢) أنظر: جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة. . .، سبق ذكره، ص ٢٤٧.

من بلاد الزنج، ومن الهند وسرنديب، وجزر لنجيالوس، والزابج والعود المستورد من الهند وجاوة وفنصور والصين، والكافور المجلوب من سفالة والهند وفنصور والصين وغيرها من مناطق الشرق الأقصى.

ويعدد الجغرافي العربي المقدسي أنواع السلع المصدرة إلى عُمان قائلاً:

«... فإلى عُمان يخرج الآت الصيادلة، والعطر كله حتى المسك، والزعفران، والبقم، والساج، والسلسم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليواقيت، والأبنوس، والنارجيل، والقند، والإسكندروس، والصبر، والحديد، والرصاص، والخيزران، والغفار، والصندل والبلور، والفلفل، وغير ذلك»[1].

ويبقى الذهب أهم بضاعة وأثمنها ـ دون ريب ـ في قائمة التبادل التجاري العُماني، وقد كانت عُمان تستورد الذهب من شرق إفريقيا ومن بلاد الهند والشرق الأقصى عامة، يحدثنا المسعودي عن استيراد الذهب من منطقة الصين قائلاً:

«بلاد الواق واق، وجزائرها في مشارق الصين، وهي كثيرة الذهب حتى أن مقاود دوابهم وسلاحهم وسلاسل كلابهم ذهب يعملون القصب المنسوجة بالذهب ذات التماثيل العجيبة»[2]، أما الدمشقي فإنه يتحدث عن قنبلو قائلاً: «إنها من جزائر الزنج عامرة بهم، وبها الأبنوس والبهار، ومعادن الذهب»[3].

---

(١) أحسن التقاسيم...، سبق ذكره، ص ٩٧.

(٢) المسعودي، أخبار الزمان، بيروت، ١٩٦٦، ص ٥٩.
راجع عن قضية الواق واق: جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي...، سبق ذكره، ص ٢٣١ وما يليها، تعليق رقم ٣.

(٣) الدمشقي شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزيغ، ١٩٢٣، ص ١٦٢.

صحار: دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق:

إن مدن المرافىء ذات الشأن في الدور التجاري العالمي لعُمان في القرون الإسلامية الأولى متعددة ومتنوعة تمتد على كامل سواحل الخليج شرقاً، وعلى شواطىء بحر العرب جنوباً وسنقف قليلاً في خاتمة هذه الدراسة عند صحار: عاصمة عُمان، فقد كان لهذه المدينة دور بالغ الأثر في تاريخ التجارة الخليجية منذ عصر ما قبل الإسلام، ويذكر المؤرخون العرب تأسيسها على يد صحار بن ابراهيم بن سام بن نوح، ولا شك أنها خضعت للإمبراطورية الساسانية أيام نفوذها في منطقة الخليج، وتظهر المدينة في العصر الإسلامي منذ سنة ٨ للهجرة (٦٢٩/٣٠ م)، أي سنة وصول مبعوثي الرسول عليه الصلاة والسلام، وهما عمرو بن العاص، وأبو زيد الأنصاري، إلى ملك عُمان عبد بن الجلندي، وأخيه جيفر[١]، وسرعان ما تطور دورها، ومكنها ازدهار التجارة مع بلدان الشرق الأقصى وشرق إفريقيا أن تصبح مركزاً تجارياً حساساً في علاقات التجارة البعيدة المدى، بالرغم من تحول البصرة إلى مركز اقتصادي مهم في منطقة الخليج فإن ذلك لم يؤثر في مركز صحار في العلاقات التجارية الدولية عهدئذٍ، وأصبحت تعد أهم ميناء في عُمان، وأجمل مدينة في منطقة الخليج، وكانت أقرب المرافىء العربية لرسو السفن القادمة من الهند والصين وإفريقيا الشرقية إلى خليج البصرة يصفها ابن حوقل قائلاً:

«... وقصبتها (يعني ناحية عُمان) صحار، وهي على البحر وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة بعُمان، وأكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار...»[٢] ويصفها المقدسي بقوله: «صحار هي قصبة عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه عامر، آهل، حسن، طيب، نزه، ذو يسار

(١) أنظر السالمي، تحفة الأعيان...، سبق ذكره، ص ٩ وما يليها.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، بيروت، د ت، ص٤٤ وما يليها.

وتجار، وفواكه، وخيرات أسرى من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج، شاهقة نفيسة والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذيبية، وقناة حلوة، وهم في سعة من كل شيء، دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن. . .» (١) .

وقد اشتهرت صحار بأحيائها الثرية وقد سكنها أهل اليسار من التجار، ولا سيما المختصين منهم في التجارة الكبرى، وتشير النصوص إلى أن بناء بيوت الأحياء الغنية كان بالآجر وخشب الساج.

وقد ساعد دورها التجاري النشط على تطور الصناعات اليدوية بها، واختصاص أسواقها بأنواع الحرف المختلفة مثل الحياكة، والحدادة، وصناعة الجلد، والذهب والفضة وصناعة الصموغ (٢) .

أما أشهر صناعة عرفت بها صحار في شبه الجزيرة العربية وفي مناطق أخرى نائية فهي صناعة المنسوجات، وقد كانت تسمّى الصحارية، وهي صناعة قديمة في المدينة سبقت ظهور الإسلام دون ريب، حيث إننا نجد صحار تصدر منسوجاتها إلى الحجاز في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام (٣) .

---

(١) أحسن التقاسيم. . .، سبق ذكره، ص ٩٢.
أنظر أيضاً وصف ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢ هـ، ص ١١، ووصف ياقوت الحموي، معجم البلدان، سبق ذكره، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٢) راجع مقال: أدولف كروهمان عن صحار في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الفرنسية الأولى، ليدن، ١٩٣٤، ج ٤، ص ٥٢٧، ٥٣٠.

(٣) لبس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثياب الصحارية، أنظر: عبد الرحمن العاني، عُمان في العصور الإسلامية الأولى، سبق ذكره، ص ٣٨.
وتذكر بعض النصوص إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد كفن في نسيجين من صحار.

وقد بدأ يتقلص الدور التجاري لمدينة صحار منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي حيث ضعفت علاقاتها مع الشرق الأقصى، وذلك لفائدة عدن، ولعله هو التحول في حياة المدينة الذي يتحدث عنه الحميري قائلاً:

«وهي أقدم مدن عُمان، وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن، ويجهز منها بأنواع التجارات وأحوال أهلها واسعة، وبها النخيل والموز، والرمان والسفرجل، وكثير من الثمار الطيبة، وكان في قديم الزمان تسافر منها مراكب الصين فانقطع ذلك، لأن عامل جزيرة كيش أنشأ أسطولاً فغزا به بلاد اليمن الساحلية، فأضر بالمسافرين والتجار، ولم يترك لأحد مالاً وأضعف البلاد وانقطع السفر عن عُمان، وعاد إلى عدن.

وكان بصحار مجتمع للتجارة، ومنها يتجهز لكل بلدة، وإلى بلاد الهند والصين»(١). وهكذا يثبت دور عُمان في التجارة العالمية في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ما عرفته هذه الأرض العربية العريقة من تفتح حضاري، ومساهمة في مسيرة المجتمع البشري نحو التقدم.

(١) الروض المعطار...، سبق ذكره، ص ٣٥٤ وما يليها.